

السجع وأساليبه في شعر الشيخ عيسى قَوْفَرٍ مَا تَا كَنُو - نيجيريا (دراسة بلاغية تحليلية)

د. آدم إبراهيم ياكسي

المسخلص:

تهدف هذه الدراسة إلى إظهار بعض إسهامات الشيخ عيسى قَوْفَرٍ مَا تَا في فن البديع فلمحت الدراسة نبذة تاريخية عن حياة الشيخ العلمية ثم الحديث عن السجع بصورة موجزة، وعرض بعض أساليب السجع الواردة في أشعار الشيخ، ذلك لإثبات أنظار الدارسين إلى الإهتمام بفن البديع في البلاغة العربية، كما قدمت الدراسة مقترحات ونتائج حول دراسة اللغة العربية لما في ذلك من الأهمية لدى المسلم، سالكا المنهج الوصفي.

المقدمة

كما هو واضح أن اللغة: ألفاظ يعبر بها كل قوم عن مقاصدهم، ومن هذا التعريف نستنبط أن اللغة العربية هي: الكلمات التي يعبر بها العرب عن أغراضهم. وقد وصلت اللغة العربية إلى أراضي نيجيريا منذ القرن الثامن الميلادي كما أثبت التاريخ وذلك عن طريق تجار العرب المسلمين، الذين وفدوا من شمال أفريقيا عبر الصحراء الكبرى. ومنذ ذلك الحين أخذ الناس يهتمون باللغة العربية ويلقون لها بالا كبيرا، وكما هو ظاهر أن البلاغة فرع كبير من فروع اللغة العربية، والسجع الذي هو موضوع حديثنا فن من فنون البلاغة.

التعريف بالشاعر:

هو أبو محمد عيسى بن عبد الله بن محمد، وجده الأعلى يلقب بـ "دُكْس" (١) والشيخ يسمى بـ "مالم عيسى قَوْفَرٍ مَا تَا" وسكن مدينة كَنُو منذ أوائل القرن الثامن عشر الميلادي، ووالدته تسمى بـ "حاجيا

مريم" بنت يحيى بن محمد بن محمود، وجد الشاعر كان عالماً كبيراً دعاه أمير كَنُو آنذاك لتعليم الإصبيان قراءة القرآن الكريم وتعليم الكبار الفقه والحديث والتفسير والتوحيد، وكان والده صباغاً وعالماً كبيراً، وكان يعيش على الزراعة وتربية المواشي.

مولده ونشأته:

ولد الشيخ عيسى بن عبد الله في حي قَوْفَرٍ مَا تَا بمدينة كَنُو - نيجيريا سنة ١٢٤١هـ، الموافق ١٩٢٠م، ونشأ في قوفر ماتا، بكنو، تحت رعاية والده مع إخوانه السبعة، وأما عن حياته التعليمية فبدأ برحلة علمية إلى قرية (غَيَا) طلباً لحفظ القرآن الكريم. وعلى جانب ذلك كان الشيخ محباً للعلم وتحصيله، أخذ عند معلم بللو الفقه والعلوم العربية من نحو وبلاغة وآداب. (٢) وجملة القول أن شاعرنا سلك منوال التعليم على غرار أهل أفريقيا كما ذكر بن خلدون. "إن أهل المغرب وشمال إفريقيا وبلاد البربر

يقتصرون في تربية الناشئين على تحفيظ القرآن ولا يخلطون معه شيئاً آخر، ومن أجل ذلك كانوا أقوم من غيرهم من أهل البلاد الإسلامية على رسمه وحفظه. (٣) وبعد معلم بللو أخذ الشيخ الثقافة العربية من كبار علماء كَنُو مثل: الشيخ عثمان القلنسوي وغيره من علماء كَنُو، أما بالنسبة لتلاميذه فقد تخرج على يده عدد كبير من الطلبة منهم على سبيل الاختصار:

- مالم محمد الأول الطيب الحافظ للقرآن الكريم والمدرس بكلية عبد الله بايرو لعلوم القرآن كَنُو.
- مالم أحمد زنفو نائب إمام جامع الشيخ أحمد التجاني كَنُو - نيجيريا.
- القاضي محمد ثالث قاضي محكمة كَنُو، نيجيريا (سابقاً). وأخيراً هذه الرحلة العلمية التي مربها الشيخ كونت شخصيته عالماً وأديباً.

التعريف بالسجع:

السجع لغة: هو الإعتدال والإستواء،

١- القصير، وهو أن يكون كل واحدة من السجعتين مؤلفة من ألفاظ قليلة وكلما قلت الألفاظ كان أحسن لتقرب الفواصل المسجوعة من سمع السامع، وهذا الضرب أوعر السجع مذهبا وأبعده متولواً، ولا يكاد إستعماله يجئ إلا نادراً.

٢- الطويل، وهو ضد الأول، وكل واحد من هذين الضربين تتفاوت درجاته في عدة ألفاظ، وأحسن السجع القصير ما كان مؤلفاً من لفظتين لفظتين كقوله تعالى: ﴿المرسلات عرفا، فالعاصفات عصفا﴾ ٢٠.

ومنه ما كان مؤلفاً من ثلاثة ألفاظ وأربعة وخمسة، إلى العشرة. وأضاف القزويني قسماً ثالثاً وهو: السجع المتوسط كقوله تعالى: ﴿أقتربت الساعة وانشق القمر، وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر﴾ ٢١ ثم قسمه المتأخرون إلى عدة أقسام منها: الحالي والعاطل والمرصع والمشطر والحطرف والمتماثل والمتوازن والمتوازي ٢٢.

وللكلام المسجوع أربع شرائط:

- ١- إختيار مفردات الألفاظ على الوجه الصحيح.
 - ٢- إختيار التركيب الحسن.
 - ٣- أن يكون اللفظ في الكلام المسجوع تاليا للمعنى لا المعنى تابعا للفظ.
 - ٤- أن يكون كل واحدة من الفقرتين المسجوعتين دالة على معنى غير الذي دلت عليه اختها. وتسمى الكلمة التي تختم بها الآية الكريمة: "فاصلة".
- لقوله تعالى: ﴿كتاب فصلت آياته﴾ ٢٢. ولكن منع بعض العلماء تسمية آيات القرآن بالسجع، وذلك لأن أصل

وإنما أراد "لملة" لأن الأصل فيها من "لم" فهو ملم" ١٥. ورأى ابن الأثير أن الرسول العظيم لم يذم السجع كله وإنما ذم ما كان مثل سجع الكهان لا غير، وقد ورد في القرآن الكريم. وعلل ذم بعضهم للسجع بقوله: "وقد ذمه بعض أصحابنا من أرباب هذه الصناعة، ولا أرى لذلك وجها سوى عجزهم أن يأتوا به، وإلا فلو كان مذموما لما ورد في القرآن الكريم فإنه قد أتى منه بالكثير حتى ليؤتى بالسورة جميعها مسجوعة كسورة الرحمن وسورة القمر وغيرهما. وبالجملة فلم تخل منه سورة من السور" ١٦.

وقال الكلاعي: "والذي عندي في هذا أن النثر والنظم أخوان فكما لا يقترح في النظم تكلف الوزن والقافية، كذلك لا يقترح في النثر تكلف السجع" ١٧.

وقد قسم ابن الأثير التسجيع إلى ثلاثة أقسام:

- ١- أن يكون الفصلان متساويين لا يزيد أحدهما على الآخر، كقوله تعالى: ﴿فأما اليتيم فلا تقهر، وأما السائل فلا تنهر﴾ ١٨.
 - ٢- أن يكون الفصل الثاني أطول من الأول كقوله تعالى: ﴿بل كذبوا بالساعة وأعدنا لمن كذب بالساعة سعيراً. وإذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظاً وزفيراً. وإذا ألقوا منها مكانا ضيقاً مقرنين دعوا هنالك ثبورا﴾ ١٩.
 - ٣- أن يكون الفصل الآخر أقصر من الأول، وهو عند ابن الأثير عيب فاحش.
- ثم قسم السجع على اختلاف أنواعه إلى نوعين:

والاستقامة، وقد سماه تسجيماً قدامة وابن الزمكاني والمصري وابن مالك والعلوي والمدني، وقال ابن الأثير الجزري: "وحده أن يقال: توامؤ الفصول ه في الكلام المنثور على حرف واحد" ٦، وهو ما قاله القزويني وهو معنى قول السكاكي: "الأسجاع هي في النثر كما القوا في الشعر" ٧. وقد ذم بعض العلماء السجع لذم الرسول - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - سجع الكهان حينما قال لبعضهم منكراً عليه وقد كلمه بكلام مسجوع: "أسجعا كسجع الكهان" ٨.

قال الجاحظ: "وكان الذي كره الأسجاع بعينها وإن كانت دون الشعر في التكلف والصنعة أن كهان العرب الذين كان أكثر الجاهلية يتحاكمون إليهم وكانوا يدعون الكهانة، وأن مع كل واحد منهم رثيا من الجن مثل حازي جهينة، ومثل شق وسطيح وعزّي سلمة وأشباههم وكانوا يتكهنون ويحكمون بالأسجاع" ٩.

وعلل ذلك النهي بقوله: "فوقع النهي في ذلك الدهر لتقرب عهدهم بالجاهلية ولبقيتها في صدور كثير منهم، فلما زالت العلة زال التحريم. وقد كانت الخطباء تتكلم عند الخلفاء الراشدين فيكون في تلك الخطب أسجاع كثيرة فلا ينهونهم" ١٠.

قال ابن وهب إن الرسول الكريم أنكر ذلك لأن المتكلم أتى به في بعض كلامه ومنطقه وكان ذلك على سجية الإنسان وطبعه فهو غير منكر ولا مكروه بل أتى في الحديث الشريف ١١. ونطق به - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - في بعض كلامه حتى أنه غير كلمة عن وجهها اتباعاً لها بأخواتها في السجع فقال لابن ابنته: "أعيزه من الهامة ١٢ والسامة ١٣ وكل عين لامة" ١٤.

السجع من "سجع الطير" فشرف القرآن الكريم من أن يستعار لشيء فيه لفظ هو في أصل صوت الطائر، ولأجل تشريف كتاب الله عن مشاركة غيره من الكلام في اسم السجع الواقع في كلام الناس، ولأن الكتاب العزيز من صفات الله فلا يجوز وصفه بهذا الوصف. وفرقوا بين الفاصلة والسجع وقالوا إن الفواصل تتبع المعاني ولا تكون مقصورة في نفسها، والسجع يقصد لنفسه ثم يحيل المعنى إليه. ٢٤. ومن أشهر الذين نفوا السجع عن كتاب الله، أبو بكر الباقلائي متابعا في ذلك أبا الحسن الأشعري.

هذا من جانب فإن أكثر البلاغيين يسمون هذا الفن سجعاً، وهو فن أصيل عرف منذ الجاهلية وشاع وانتشر في العصر العباسي أيما انتشار ولعل ذلك لإسراف بعضهم فيه، ولذلك نزه الأشعرية كتاب الله من هذا الفن البديعي الذي أصبح من المحسنات اللفظية عند المتأخرين، ٢٥. ولذا سموا نهاية الآيات "فواصل" لكي أن يكون هناك فرق بين سجع البشر وآيات القرآن. ٢٦. قد ينقسم السجع باعتبار توافق الفواصل وتخالفها إلى ثلاثة أقسام هي:

- ١- **المطرف:** وهو ما اختلفت فيه الفواصل في الوزن، كتقوله تعالى: ﴿ما لكم لا ترجون لله وقاراً. وقد خلقكم أطواراً﴾ ٢٧. وفي ذلك يقول الشيخ عيسى عبد الله قَوْفَرٌ مَاتَا: وكل نجس من مستقدرات تعدينا بالناثر في المحرمات وبعد فامتثل الأمر للمولاكا بقوله فاتوا فقد هداك

والطرق بالحصى كذا التنجيم والبيغي والتوالي لجائر تفهم كذا الشراء إنفاق بالحلف سلعة عن هذه فلتختلف شوارع فخذ وكالمعادن كذا المساجد التي في المدن

الشرح والإيضاح:

أ- الشاهد من البيت الأول، هو: بين لفظة: "مستقدرات" ، ولفظة، "المحرمات" ، حيث اختلفت فيه الفواصل وزنا واتفقت رويًا.

ب- الشاهد في البيت الثاني، هو: بين لفظة، "لمولاكا" في صدر البيت ولفظة، "هداك" ، حيث اختلفت فيه الفواصل وزنا واتفقت رويًا.

ج- الشاهد في البيت الثالث، هو بين لفظة، "التنجيم" ، ولفظه، "تفهم" ، حيث اختلفت فيه الفاصلتان وزنا واتفقتا رويًا.

هـ الشاهد في البيت الرابع، هو: بين لفظة: "بالحلف" ، ولفظة، "فلتختلف" ، حيث اختلفت فيه الفاصلتان في الوزن واتفقتا في الروي.

ز- الشاهد من البيت الخامس، هو: بين لفظة، "كالمعادن" ، ولفظة: "المدن" ، حيث اختلفت الفاصلتان وزنا واتفقت رويًا.

٢- **المتوازي:** وهو أن تتفق اللفظة الأخيرة من القرينة أي الفقرة مع نظيرتها في الوزن والروي. ٢٨. كتقوله تعالى: ﴿فيها سرر مرفوعة. وأكواب موضوعة﴾ ٢٩. وفي نحو هذا السجع يقول الشيخ عيسى عبد الله قَوْفَرٌ مَاتَا:

الحمد لله على الابتداء

أجرى بحمده إلى انتهاء

فلحمد لله على التمام

ثم صلاته على الكريم

وهي أتتنا إحدى والعشرة

أولها هي التي في البقرة

في ما إذا حفظتها بغيتا

من الرشاد شبهة كفيتا

وجانب البدعة الممنوعة

يفعلها بعضهم مسموعة

التحليل:

أ- الشاهد من البيت الأول هو: بين الفظة، "الابتداء" ، ولفظة: "إنتهاء" ، حيث اتفقت اللفظة الأخيرة من الفقرة مع نظيرتها في الوزن والروي.

ب- الشاهد من البيت الثاني هو: بين لفظة: "التمام" في صدر البيت ولفظة: "الكريم" ، حيث اتفقت اللفظة الأخيرة من الفقرة مع نظيرتها في الوزن والروي.

ج- الشاهد من البيت الثالث، هو: بين لفظة "العشرة" ، في صدر البيت، ولفظة "البقرة" ، حيث اتفقت اللفظة الأخيرة من الفقرة مع نظيرتها في الوزن والروي.

د- الشاهد من البيت الرابع، هو: بين لفظة: "بغيتا" ، ولفظة "كفيتا" ، حيث اتفقت اللفظة الأخيرة من الفقرة مع نظيرتها في الوزن والوري.

هـ الشاهد في البيت، هو: بين لفظة: "الممنوعة" ، ولفظة: "مسموعة" ، حيث اتفقت اللفظة الأخيرة من الفقرة مع نظيرتها في الوزن والوري.

٢- على الدراسين الأفارقة بالقيام بمثل هذه الدراسة ليظهروا بإسهامات العلماء في دولهم غير الناطقة بالعربية ليعرف جهدهم في نشر اللغة العربية في بلادهم.

نتائج الدراسة:

- ١- أن هناك علماء في نيجيريا استخدموا أساليب السجع بصور حذابة.
- ٢- أن من الأفارقة بين يحسن اللغة العربية ويقول الشعر فيها ويستخدم أقسام السجع في شعره كما فعل فحول العرب في الشعر.
- ٣- موقف العلماء من قبول السجع أو رفضه.
- ٤- أستنتجنا أن السجع ينقسم إلى: المطرف، المرصع، المتوازي، والحالي والعاطل والطويل والتقصير والمتماثل والمشطر والمتوازن إلا أننا لم نتمق في بعض هذه الأقسام لعدم ورودها في شعر الشيخ عيسى.

"قد"، ولفظة: "نقد"، حيث اتفقت فيه أكثر الفواصل في الوزن في جميع الأبيات تقريبا.

الخاتمة:

وفي خلاصة القول: السجع مأخوذ من سجع الحمامة إذا رددت صوتها وغطت، وهو قسم مهم من أقسام المحسنات اللفظية التي عرفت منذ الجاهلية ثم ذاع وانتشر في العصر العباسي. قد اشتملت هذه الدراسة على المقدمة، ونبذة عن الشاعر ثم التعريف بالسجع وأخيراً العرض والتحليل لبعض أشعار الشيخ عيسى عبد الله قوفرماتا، ثم إقترحت الدراسة على بعض النقاط المهمة التي تحتاج إلى الاهتمام.

مقترحات ونتائج:

- ١- يقترح الدراسة على النقاط التالية:
- ١- ينبغي أن يعتنى بهذا الفن لكونه عنصراً من عناصر البلاغة ومقوماتها الأساسية ومؤكداً المعنى في اللغة العربية وموضح الفكرة ومقوى أسلوب العربية ومعطيها البهاء والجمال.

٣- **الترصيع**: وهو عبارة عن مقابلة كل لفظة بلفظة على وزنها ورويها أو اتفقت فيه أكثر الفواصل في الوزن. ٢٠ وفي مثل ذلك يقول الشيخ عيسى عبد الله قوفرماتا:

عند حلها السروال للجهاالة

سنة النبي ولم تجئ مقالة
سموه أخذ اليد للعروسة
بنوا عليه البدع للخصومة
البدعة المشنوعة المحرمة
إعطاء أهل الزوجة المكرمة
خرقة البيضاء للزوجة قد
غسلت بالصابون بعد أن نقد

التحليل:

- أ- الشاهد من البيت الأول هو: بين لفظة: "لجهاالة"، ولفظة: "مقالة"، حيث انفقت فيه أكثر الفواصل في الوزن.
- ب- الشاهد في البيت الثاني، هو: بين لفظة: "العروسة" في صدر البيت ولفظة: "للخصومة" في عجز البيت.
- ج- الشاهد في البيت الثالث، هو: بين لفظة: "المحرمة"، ولفظة: "المكرمة" في عجز البيت.
- د- الشاهد في البيت الرابع، هو: بين لفظة:

الهوامش المراجع:

- ١- غلادنتي، شيجو أحمد سعيد، حركة اللغة العربية وأدائها في نيجيريا، ط٢، المكتبة الأفريقية (١٩٩٣م).
- ٢- الجوهري، أبي نصر إسماعيل بن حماد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق محمد محمد تامر، دار الحديث القاهرة، بدون عدد الطبعة.
- ٣- القاموس المعتمد عربي عربي ط١، بيروت لبنان (٢٠٠٤م)
- ٤- القاموس عربي - إنكليزي ط٢، بيروت.
- ٥- الفتازاني، سعد الدين، مختصر السعد شرح تلخيص كتاب مفتاح العلوم، تحقيق عبد الله الحميد (الدكتور) منداوي، بيروت المكتبة العصرية.
- ٦- عبد العزيز عتيق (الدكتور) معلم البدیع، ط١، دار الأفق العربية، القاهرة (٢٠٠٦م).
- ٧- فضل حسن عباس، البلاغة فنونها وأفنانها، ط١٢، دار النفائس، الأردن (٢٠٠٩).
- ٨- المراغي، أحمد مصطفى، كتاب علوم البلاغة، ط١، القدس.

- ٩- الفضلي، عبد الهادي، تهذيب البلاغة، ط ١١، كلية أصول الدين.
١٠- القزويني، الخطيب، الإيضاح في علوم البلاغة، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، (٢٠٠٣م).
١١- محمد رمضان الجربي، البلاغة التطبيقية دراسة تحليلية لمعلم البديع، القاهرة، مكتبة الآداب، ط ١، (٢٠٠٩م).

الهوامش

١ دُكِّن: كلمة هوسوية تعني: عن قريب، وهو يكثر من استخدامها لذلك لقبَ بها.

٢ مشافهة مع الحاج آدو زنفوا، كنو بتاريخ ٢٧/٢/١٩٩٩م وعمره ٧٥ سنة.

٣ ابن خلدون في مقدمته، ص: ٢٧

٤ نقد الشعر، ص: ٦٠، التبيان ص: ١٧٨

٥ المثل السائر ج: ١ ص: ١٩٣

٦ الإيضاح ص: ٢٩٣، التلخيص ص: ٣٩٧

٧ مفتاح العلوم، ص: ٢٠٣

٨ معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ص: ٣١١

٩ التبيان، ج: ١ ص: ٢٨٩

١٠ المرجع السابق، ص: ٢٩

١١ البرهان، ص: ٢٠٩

١٢ الهامة: جثة خرا فيه للميت

١٣ السامة: حقودة مسممة

١٤ لامة: عين مصيبة

١٥ ملّم: مصيب.

١٦ المثل السائر ج: ١ ص: ١٩٣

١٧ معجم الصطلحات البلاغية وتطورها ص: ٣١٢

١٨ سورة الضحى، الآية: ٩ - ١٠

١٩ الفرقان: ١١ - ١٢

٢٠ المرسلات، ١ - ٢

٢١ القمر: ١ - ٢

٢٢ معالم الكتابة ص: ٦٩ - ٧٠، الفوائد ص: ٢٢٦

٢٣ فصلت: ٣

٢٤ البرهان في علوم القرآن، ج: ١ ص: ٥٤

٢٥ الإيضاح ص: ٢٩٣، التلخيص، ٤٠٤

٢٦ معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ص: ٣١٤

٢٧ سورة الفاشية: ١٢ - ١٤

٢٨ معلم البديع ص: ١٥٤

٢٩ سورة نوح: ١٢ - ١٤

٣٠ معلم البديع، ص: ١٥٣